ذكريات المجنّد Cain Warwood

. سامي مهدي* .

أنتَ من «ألاباما» إذن،
أيُّ حظٍّ سعيدْ!
وأبوكَ، الذي أنتَ لم ترَهُ،
كانَ سائقَ شاحنةٍ، لا مكانَ له،
كالطريدِ،
وأمُّكَ محضُ خلاسيّةٍ ضللّتها الوعودْ،
ولدتْكَ، كما قلتَ، في قاربٍ،
ثمَّ ألقتكَ في ملجأٍ،
ورعتكَ، هناكَ، ملائكةٌ بوجوهِ قرودْ..
هكذا قلتَ أنتَ..
وأغراكَ حُبُّ النقودْ،
وجمالُ النساءِ، وريحُ السفرْ،
وجنونُ اقتحامِ الخطرْ
أو «جنونُ البقرْ»
فتطوّعتَ في الجيشِ..
يا للظرافةِ!
هذا إذنْ ما لديكَ لنا من خبرْ!
.....
حسنٌ. سيكونُ لكَ الآنَ شيءٌ جديدْ!
سيكونُ لكَ الآنَ
ما لم يكنْ قبلُ من ذكرياتْ
قد تسلّي بها فتيةً في الجوارِ
إذا عزَّتِ الفتياتْ،
أو تُحدِّثُ عنها صديقًا يجاريكَ،
أو ساقيًا يتثاءبُ في الحانِ،
أو شبحًا يتراءى لعينيكَ في الخلواتْ.
سيكونُ لكَ الآنَ ما لم تكنْ تدَّعيهْ:
خططٌ وبرامجُ للقصفِ والقتلِ
فيها من الدمِ ما كنتَ، أو لم تكنْ،
تشتهيهْ
وستروي الكثيرْ
عنْ بلادٍ تنامُ على بحرِ نفطٍ
وتصحو على كلِّ أمرٍ خطيرْ،
وتَعدُّ البطولاتِ،
واحدةً بعدَ أخرى،
نَعدُّ معًا، إنْ نسيتَ،
نَعدُّ معًا، وكأنّا نثرثرُ في حفلةٍ للشِّواءْ،
أصدقاءَ، ولا أصدقاءَ، ولكنّنا صُرَحاءْ:
فكَمِ اغتلتَ من فتيةٍ نجباءْ،
كم سَجَنتَ وعَذَّبتَ من أبرياءْ،
كم هَدمتَ، وهَجَّرْتَ،
بل كم قَصَفتَ وسَوَّيتَ بالأرضِ
من قريةٍ
ثمَّ غَطّيْتَ أنقاضَها بغيومِ السماءْ!
وإذا ما أردتَ المزيدْ،
فَلْنَعدَّ الثَّكالى، الأيامى، اليتامى، القبورْ
أتقولُ: السجونْ؟!
حسنٌ. فهي أيسرُ في العدِّ لو يصدقونْ.
هم يقولونَ: عشرونَ سجنًا،
لعشرينَ ألفًا،
ولكنْ أفي وسْعِنا أن نَعُدَّ السجونَ
التي تتخفّى وراءَ السجونْ؟
ثمَّ ماذا عن «الغرفِ السودِ» فيها
وما يفعلُ الفاعلونْ؟!
لا نقولُ: غوانتانامو،
فما غوانتانامو، إذا قستَ، إلاّ ربيعْ!
فيه منتجعٌ للسجينِ وسجّانه،
ومغامرةٌ للجميعْ!
فيه شيءٌ يسمّى: النظام!
وإنْ كَثُرَ القيلُ والقالُ عنه،

* ـ شاعر من العراق

وزادوا وزدنا الكلامْ!
فمن يتحدَّثُ عن سجنِ «بوكا»؟
ومَنْ ذا يرى سجنَ «صوصةَ»
أو يتذكَّرُ سجنَ «المطارْ»؟
بلى حدَّثوا عن «أَبُغْرَيْبَ،» في الليل،
لكنَّهم سكتوا في النهارْ،
فالبلادُ غدتْ كلُّها سجنَ مُرتَهنينَ
وموتى يغصُّ بهمْ أفقُ الانتظار.

.....

أتريد المزيدْ؟
عن خرائبَ كانتْ مصانعَ،
أو بلاقعَ كانتْ مزارعَ،
أمْ تكتفي بالجديدْ؟
لا جديدَ؟!
إذنْ أنتَ تخشى الحديثَ عن الماءِ والكهرباء،
وعن شَرِكاتٍ توافدنَ في الليلِ
من كلِّ فجٍّ بعيدْ،
وتخصّصنَ في النفطِ والأمنِ،
والأمنِ والنفطِ،
يَحْلِبْنَ حبلَ الوريدْ!
لا تريدُ حديثًا كهذا؟!
إذنْ، فتعالَ إلى ما تحدِّثُ عنه النساءُ النساءْ
فالحديثُ عن الرعبِ والموتِ
لا ينتهي بينهنَّ صباحَ مساءْ..
ألحديثُ عن الرعبِ والموتِ،
لا في الشوارعِ،
بل في البيوتْ،
البيوتِ التي يطحنُ القصفُ جدرانَها،
البيوتِ التي يَهْرسُ الموتُ سُكّانَها،
البيوتِ التي لم تعدْ ما يُسمّى: البيوتْ!
أنواصلُ هذا الحديثَ معًا،
أمْ تريدُ السكوتْ؟!
حسَنٌ!

.....

أرأيتَ إذنْ كم لديكَ، لترويَ، من ذكرياتْ؟!
فالبطولاتُ أكثرُ من أن تُعَدَّ
وتُحسَبَ في نُظُمِ الحاسباتْ!
وستروي الكثيرْ
عن بلادٍ تنامُ على بحرِ نفطٍ
وتصحو على كلِّ أمرٍ خطيرٍ،
ولكنْ، تذكّرْ، إذا أنتَ حدَّثتَ،
كم سَلَخَ الخوفُ جلدَكَ،
كم شَبَحًا عابرًا شَكَّ قلبَكَ،
كم هِنْتَ،
كم ميتةً مُتَّ،
في الضوءِ أو في الظلام!
وها قد وقعتَ،
وعذرًا،
فلا أنتَ حيٌّ، ولا أنتَ ميْتٌ،
وما عدتَ تفهمُ لغزَ الختامْ!
فاثْنِ كرسيَّكَ المُتَحَرِّكَ يا صاحِ،
واكتمْ حديثَ الرجولةِ،
نَعني حديثَ الفحولةِ،
فالحربُ طاحونةٌ،
والجنودُ وقودٌ،
وما الذكرياتُ عن الحربِ
إلاّ بقايا الحطامْ!

بغداد